

أسلوب الشرط عند الأوردبادي ... دراسة في الأداء الأسلوبي

زينب حسن حمود

أ.د. سرحان جفات سلمان

جامعة القادسية كلية التربية

Gehanali094@gmail.com

يدور هذا البحث حول أسلوب الشرط في شعر الأوردبادي ، الذي ضم معظم الموضوعات الشعرية في ديوانه ، حيث احتلت الجملة الشرطية نسبة لا بأس فيها في ديوانه الشعري ، باعتبارها أحد الملامح الأسلوبية البارزة، وسوف نقف على أهم التراكيب الشرطية في شعر الأوردبادي ، ثم وضحت نتائج البحث فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع على وفق الحروف الهجائية .

المقدمة:

الشرط تعليق حدث على حدث، وبعبارة أخرى: ربط حدثين برابط السببية، بحيث يكون الأول سبباً للثاني، ويكون الثاني مسبباً عن الأول^(١)، والشرط: ترتيب أمر آخر بأداة، وأدوات الشرط: الألفاظ التي تستعمل في هذا الترتيب مثل: إن، ومن، ومهما^(٢)، وورد في المقتضب معنى الشرط: وقوع الشيء لوقوع غيره^(٣). وأسلوب الشرط أسلوب من أساليب الكلام نحو أساليب الاستفهام والتوكيد والنفي والتعجب وغيرها، وقد أطلق سيبويه وبعض النحاة على الشرط مصطلح الجزاء^(٤). وأطلق الرماني مصطلح الشرط على الجزء الأول من التركيب الشرطي، والجزاء على الجزء الثاني؛ لأن مضمون الثانية جزء لمضمون الأولى^(٥). واستعمل ابن جني مصطلح جواب الشرط مطلقاً إياه على الجزء الثاني من التركيب^(٦) إن الشرط أسلوب لغوي يقوم على جزأين، يتسبب الجزء الأول، وهو جملة الشرط، في وجود الثاني، وهو الجزاء أو الجواب، فأسلوب الشرط يتكون من ثلاثة أركان هي: أداة الشرط، جملة الشرط، وجملة جواب الشرط أو جزائه.

أسلوب الشرط عند الأوردبادي:

الشرط عند "الأوردبادي" أحد الملامح الأسلوبية البارزة والرئيسية، حيث اتكأ الشاعر عليه في كثير من تعابيره الشعرية، إذ نجد هذا الأسلوب يكاد يطول معظم ديوانه ليحمل دلالة تفيض انفعالاً وتأثيراً، حيث تظهر الجملة الشرطية في (أربعة وأربعين ومائة ١٤٤) موضعاً من شعره، وبنسبة (%)، وذلك دليل على غنى شعر "الأوردبادي" بالتراكيب الشرطية، وغنى هذه التراكيب في ذاتها وتعدد ألوانها ودلالاتها في التركيب الشرطي من أهم السبل المفضية إلى تكتيف البنية الحركية في الشعر بما يعكس حيوية هذا الشعر وتجده ونسق الشرط في شعر "الأوردبادي" قد ضم معظم الموضوعات الشعرية، غير أن اللافت للنظر ارتفاع نسبة استخدام النسق الشرطي بشكل واضح في سياق المدح، ولعل ذلك يرجع إلى "طبيعة هذا الموضوع في ذاته وما يحمل من قدر كبير من المبالغة والتزديد والعلو، تلك الصفات التي يحاول الشعراء كبح جماحها بالاستفادة من دلالة التقييد في التركيب الشرطي، فضلاً عن إتساق التركيب الشرطي بما يتميز به من جزاء فترتب على فعل مع حركة المدّ والجزر التي تحكم العلاقة بين المتحابين"^(٧). وعلى هذا الأساس تكمن قيمة نسق الشرط في تجسيد الدلالة التي تدور في ذهن الشاعر، وإيقاظ ذهن المتلقي من خلال هذا الأسلوب إلى أن يكون فاعلاً في العمل الأدبي بدمجه في خضم العمل الإبداعي، وقد استخدم الشعراء في التركيب الشرطي أدوات عدة، وقد شكّلت الأدوات (إذا - إن - من - لو - لولا) في شعر "الأوردبادي" ملمحاً أسلوبياً شديداً للوضوح، وفيما يلي ندرج بعض أروع نماذجها، حيث يقول في مدح أبي جعفر محمد بن الإمام علي الهادي (عليهما السلام):

سَقَتْ نُظْفُ الحيا بدجيلٍ مثوَّى

حوى منْ هاشمٍ شرفاً وعزاً

لئنْ رُزِيَ الورى بنواك يوماً

فإنَّ الدينَ أصبحَ فيك يُرزا

ولولا صنوكَ الزاكي إماماً

لألفوا منكَ ندباً مستقزا

وإنْ قصدوكَ للجلى ملاذاً

فإنكَ عندها أكفا وأجزا

فإن ناوؤكُمُ حمقاً وجهلاً

فما ساوؤكُمُ حدقاً ومزاً

وإنْ قصدوا بمدحكُمُ سواكُم

فغنهُمُ مدحتي وهواي فزا^(٨)

يقوم هذا النص على الاستخدام المكثف لنسق الشرط عبر الأدوات (إن، لولا)، حيث عمل هذا النسق على تجسيد الدلالة التي يسعى الشاعر إلى إيصالها، فضلاً عن دمج المتلقي في العمل الإبداعي من خلال مختلف الرؤى التي تضمنتها الأبيات.

وقد ساهم تراكم أدوات الشرط على مستوى الأبيات في تكثيف الجانب الدلالي، حيث تعرض الشاعر لوصف ممدوحه في سياق شحنت المبالغة في التعظيم معانيه، مما انعكس ذلك على خيارات لغته الشعرية، فكان للنسق الشرطي فيه أثره البالغ ودوره الفاعل في تجسيد معظم الجوانب الدلالية بفاعلية أكثر، فاسباغ الشاعر معظم مواقف التعظيم والتبجيل ... على مديحه لم يكن ليكون على هذا النحو من التأثير لولا تركيز الشاعر على مثل هذا النسق الشرطي الذي ارتقى بخطابه الشعري درجة عالية في سلمي الإبداع والإقناع معاً وبالعودة إلى أبيات الشاعر نجد أن الانساق الشرطية لم تأتْ بهذه السمة التراكمية لتعكس قصر الفاعلية الشعرية، إنّما لتؤثر بسمة أسلوبية سائدة عملت على دعم الدلالة وإحكام النسيج التركيبي، وإن اخلال أي سمة من هذه السمات يؤدي إلى حدوث خلل دلالي لأن السياق العام الذي يحكم النص أدى إلى إبراز ها النسق^(٩). وفي موشحة في سياق يمدح الشاعر فيه الإمام السبط الحسين (عليه السلام) في ذكرى مولده يقول:

حيّ شعبان فبدرُ السعدِ لآخ

والهنا والبشرُ فيه اعتقفا

وإذا شرعُ هوى الخمرِ أباح

لا تقل حرمها شرعُ النصّ

وإذا الكأسُ علاها الجدبُ

بَدَتِ الشهبَ بهِ والفلكا

إنْ تساجلْ أبدتِ الفخرِ الصراخُ

إذ لشمسِ الدينِ أبدتِ مشرقا

إنْ يكُنْ في المهديِّ قد سادَ المسيحُ

فحُسينُ المجدِ منه أعظمُ

لو أوى منه إلى ركنٍ شديدٍ

لو طُ لا ستكفي مريداً ثاره

وإذا العاني بمثواه استغاث

فالشفا أودع في تربته^(١٠)

في هذا النص يكتسب تركيب الشرط أهميته الشعرية عبر تلك التراكمات القائمة على الأدوات (إذا، إن، لو) في بداية كل بيت، فعلاقة الترابط الشرطية - هنا - قد تحققت في البيت الثاني بين فعل الشرط (شرع) وجوابه (أباح)، وبين فعل الشرط (الكأس) في البيت الثالث وجوابه (بَدَتِ)، وبين فعل الشرط (تساجل) وجوابه (أبدت) في البيت الرابع، وفي البيت الخامس بين فعل الشرط (يكُنْ) وجوابه (فحُسينُ)، أما البيت السادس بين فعل الشرط (أوى) وجوابه (لو طُ لا ستكفي)، وأخيراً البيت السابع بين فعل الشرط (العاني) وجوابه (فالشفا)، فالدوال التي تقوم من خلال هذا الترابط تحمل مؤشرات دلالية تؤكد ملامح الجود والكرم، اللذين يتحلى بهما ممدوح الشاعر، كما توضح مبلغ الحب الذي تكنه الرعية لهذا الملك الجواد، فالفضاء التعبيري - هنا - عكس إحساس الشاعر بأخلاق ممدوحه الإمام الحسين (عليه السلام) سيما بصفة الجود والكرم، وهو ما يتضح في كل من البيتين السادس والسابع، حيث حاول الشاعر تأكيد هذه الصفة من خلال أداة الشرط (لو، إذا)، حيث تشير (لو) إلى المستقبل، فيؤكد الشاعر أن هذه الصفة في ممدوحه ليست وليدة ظروف آنية إنما تتصرف إلى المستقبل، وهنا تتضح فعالية الشرط في تجسيد المعاني في إطار مجازي ساهم في إعطاء الدلالة مفهوماً أعمق، سيما في البيتين الثالث والرابع. كما يتوضح في النسق الشرطي عند "الأوردبادي" شبكة من العلاقات المرتبطة بالمستويات الثلاثة (الصوتي، التركيبي، الدلالي)، ومن شأن هذا التعانق أن يمنح النص الشعري أسلوبه المميز، ويقول "الأوردبادي" في سياق رثاء العالم الجليل السيد علي الرضوي التبريزي:

نعاهُ العلى والمجدُ في كلِّ معهدٍ

فأبكى الورى شجواً بخطبٍ مُجددٍ

فإنْ قُلْتُمْ عِلْمُ فغرةً وجهه

وإن قلنم حلم فطوق المقلد

لئن غسلوه فهو كان مطهراً

بأخلاقه العر المضيئة في الندي

وإن كفنوه فهو في الدهر لم يزل

تطلع في بُردي نهرً وتعبد

وإن حنطوه فهو ما زال نشره

يروحُ به مرُ النسيم ويغتدي^(١١)

إن السياق القائم بفضل أداة الشرط (إن) عمل على تجسيد الدلالة على هيئة خاصة، فذلك التعانق الذي تجسد بوضوح بين النسق الشرطي والمستويات الأخرى، فيتبين التجانس الصوتي بين جوابي الشرط (علم، وحلم) في البيت الثاني، فضلاً عن التماثل الصوتي بفعل تكرار النسق الذي يدل على الشرط - هنا - ورد متواشجاً مع دلالة النص في فعل الشرط لكل من (غسلوه، وكفنوه، وحنطوه) في الأبيات الثالث والرابع والخامس، وجميع هذه التجمعات الصوتية إنما تندرج ضمن السياق الشرطي المؤسس للأبيات، حيث ساهم في تفعيل حركة النص وإثراء دلالاته، فضلاً عن التلاحم التركيبي والصوتي الذي جسده هذا الاقتران، فقد خلق تلاحماً دلاليًا، فضلاً عن تكرار فعلي الشرط (قلنم) في البيت الثاني، وتكرار جواب الشرط ثلاث مرات (فهو) في الأبيات الثالث والرابع والخامس، فهذا التكرار، فهذا التكرار يتضمن نوعاً من الانسجام بين المعنى السياقي ودقة اللفظ، فهذا الدال المكرر يحمل طاقة انفعالية ذات درجة عالية من التأثير فالتكرار في هذا التشكيل يومية بأن الشاعر يدور في فلك فكرة معينة لا يريد أن يخرج عليها، بل يعززها كلما أتيج له ذلك، حيث رسم الشاعر لوحة نفسية معبرة من خلالها استطاع أن يخلع إحساسه الحزين على متلقيه، فضلاً عن إعجاب الشاعر بفضائل هذه الشخصية المهمة محور الاهتمام، من خلال التعظيم والتبجيل...، وهنا يتضح أن الشاعر قد وفق في إيصال فكرته إلى المتلقي، وكان لنسق الشرط دوراً فاعلاً فيه، ذلك أن كثيراً ما تتوقف قيمة الشاعر على قدرته في استغلال الامكانات الفكرية الكامنة في اللغة ونجاحه في ضوء توظيف الطاقات الموحية في هذه اللغة في خلق إحساس لدى المتلقي يعادل إحساسه هو حال عملية الإبداع^(١٢). وهنا يتضح أن التلاحم بين الصوت والتركيب والدلالة قد عمل على تفاعل النص وإبراز القيمة الأسلوبية للنسق الشرطي في توليد الدلالة وتعميقها. ويقول أيضاً في سياق يمدح فيه أبي جعفر محمد بن الإمام علي الهادي (عليه السلام):

لمن الوفود توم دارة سعده

فتوب مقلته بغامر رفته

وإذا حبا فالبجر بعض نواله

وإذا احتبى فالطود دن مسده

لولا الإمامة للزكي شقيقه

وإفي بأمر الدين عاقد بنده

فلئن عدته فما عدته جلاله

عنها تنم مهابة في لحده

من قاسه بسواه في شوط العلى

قاس الشريف لدى الفخار بعبد^(١٣)

ساهم أسلوب الشرط في جعل الدلالة في هذا النص تكون أكثر فاعلية، وذلك من خلال تواشج أكثر من أداة (إذا، لولا، إن، من)، حيث جسدت نواة الدلالة الشعرية في هذا النص. فهذا النسق التراكمي لأدوات الشرط قد منح النص قيمة لسانية، فاستطاع الشاعر من خلال هذه الأدوات التي ساقها أن يعمق المعنى الذي أراد أن ينقله إلى المتلقي بطريقة تنقل السامع إلى حالة ذهنية عميقة يتصور من خلالها صورة متفردة لشجاعة وبسالة هذه الشخصية العظيمة ومن شأنها أن توضح هيئة ممدوحه. وتقوم مفردات النسق الشرطي في هذا النص على كل من (حبا، فالبجر)، (احتبى، فالطود)، (الإمامة، وإفي)، (عدته، فما عدته)، (قاسه، قاس)، مما على تصعيد الجانب الدلالي للأبيات، سيما وأثر بعضها هي أفعال تدلل على شجاعة ممدوحه وتؤكد على هيئته، ويتجلى ذلك بوضوح في البيت الثاني، حيث تجسد أفعال الشرط (حبا، احتبى)، ملامح

التوثب والعتاء بلا مقابل والإقدام للملمات والخطوب اللاتي تتميز بها هذه الشخصية. هذا واتخذ الشرط في هذا النص نسقاً تركيبياً موحداً استقى فنيته وجماله بفعل الوظيفة الشرطية التي ساهمت في تأكيد ما كان الشاعر يسعى إلى إيصاله، وذلك بين (حبا، احتبى، الإمامة، عدته، قاسه)، وبين الأفعال التي تحتل موضع جواب الشرط (فالبجر، فالطود، وافي، فما عدته، قاس)، فضلاً عن التكرار اللفظي بين فعل الشرط وجوابه في البيتين الرابع والخامس (عدته، عدته)، (قاسه، قاس)، فهذا النسق الشرطي ورد متواشجاً مع دلالة النص، لذا فإن أي خلخلة تحدث بين أجزائه حتماً يؤدي إلى شلل في المعنى العام للنص، فالمبدع لا يمكنه أن يعبر عن تجاربه الشعرية إلا من خلال التركيب ذلك أن التركيب ليس نسقاً صورياً يُدرس باستقلال عن النسق الدلالي^(٤)، إنما هو "طريق ابداعي آخر موصول بجبل الدلالة التي تمثل المطلب الأخير البادي في ثوب فني يُحقق الجمال والمتعة والإثارة"^(٥) كما يظهر على السياق العام للنص شيوع الجملة الفعلية (الماضية والمضارعة) استخدام الأفعال على هذا النحو من التكتيف وبتنوعاته الزمنية المختلفة زاد في تفعيل الجانب الدلالي للأبيات مما أدى إلى دينامية المشهد الشعري، وكذا السمو بالدور الذي يؤديه الشق الشرطي، ذلك إلى صياغة جملة جواب الشرط وفعله بجملة فعلية يزيد من قيمة الوظيفة الشرطية التي تتقوى نتيجة اقتران الأداة بصيغ فعلية^(٦).

الذاتة:

نخلص في ضوء ما تقدم من أمثلة إلى أن الشرط نسق تركيبى يجسد المعاني على هيئة تتجاوز من خلالها معانيها السطحية وتحولها إلى منافذ تتفتح على دلالات تتوسع كلما توغلنا في أعماق السياق، حيث تقوم عناصر التشكيل اللساني لنسق الشرط على إكتشاف عناصر البنية اللغوية في النص الذي يعمل على تجسيد الوظيفة الشعرية والدلالية عبر ترابط الأفكار واتساق الانساق اللسانية وانسجام المعاني المعبر عنها.

الهوامش

القران الكريم

- (١) ينظر: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ٥٣ / ٢.
- (٢) ينظر: المعجم الوسيط، مادة شرط.
- (٣) ينظر: المقتضب: ٤٥ / ٢.
- (٤) ينظر: الكتاب: ٥٦ / ٣.
- (٥) ينظر: التراكيب اللغوية، ص: ١٧٥.
- (٦) ينظر: للمع، ص: ١٩٣.
- (٧) جماليات النص الشعري، ص: ٨٤.
- (٨) الديوان، ص: ٢٨٥.
- (٩) ينظر: شعر الخواج - دراسة أسلوبية -، ص: ١٤١.
- (١٠) الديوان، ص: ٣٧٠.
- (١١) الديوان، ص: ١٧١.
- (١٢) جماليات النص الشعري، ص: ٨١.
- (١٣) الديوان، ص: ١٣٣.
- (١٤) المعنى والتوافق - مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، ص: ٢٣٦.
- (١٥) التوير في الشعر - دراسة في النمو والمعنى والايقاع، ص: ٥.
- (١٦) ينظر: شعر الخواج - دراسة أسلوبية -، ص: ١٤١.

